

نعم.. قمة كوالالمبور تكتل إسلامي بديل لمنظمة التعاون الإسلامي.. وجرس إنذار للسعودية والعرب..



والرسالة واضحة: رعامتكم الإسلامية تتآكل.. وتهميشكم كان مُصيّباً.. لهذه الأسباب عبد الباري عطوان

خطورة قمة كوالالمبور الإسلامية التي ستبدأ أعمالها غداً في العاصمة الماليزية بحضور قادة وممثلي سُبُّ دول إسلامية، لا تكمن فقط في كونها تشكّل زواة تكتل إسلامي جديد يُريد أصحابه أن يكون بدلاً لمنظمة التعاون الإسلامي، وإنما أيضاً في تهميش الدول العربية الكبّرى والمُغْرِى على حد سواء، وزَرع قيادتها للعالم الإسلامي، لمصلحة مرجعية قيادية "إسلامية" جديدة ونحن نتحدّث هنا عن دول كبرى مثل المملكة العربية السعودية ومصر والمغرب والسودان والجزائر، إلى جانب كل من سوريا والعراق، فجميع هذه الدول جرى استبعادها كُلّاً، ولم تُوجّه لقادتها دعوات الحضور.

لا زُجادل مطلقاً أنّ غياب رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان الذي كان من أبرز المؤسسين لهذا التكتل مع كُلّ من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، والزعيم الماليزي مهاتير محمد وبعد زيارة مفاجئة للرياض، ولأسباب ما زالت غير معروفة، ويسود اعتقاد أن الإغراء المالي ربما أحد أبرزها، أضعف مستوى التمثيل في هذه القمة، وحرم التكتل الجديد من قوّة نووية، ولكن حضور الرئيس الإيراني حسن روحاني أسقط الطابع الطائفي عنها، وزاد من عُمق تمثيلها للوحدة الإسلامية بجناحها السندي والشيعي.

هذه القمة تحضن سـت دول تُشكـل خمسة منها أضـخم كثافة سـكـانـيـة مـسـلمـة من غير العرب (إندونيسيا، باكستان، تركيا، وإيران وـمـاليـزـيا)، حيث تُشكـل مـجـتمـعـة حـوـالـيـ 600 مليون نـسـمة، وـمـسـاحـة جـفـراـفيـة تـزـيد عن 6 مـليـون كـيلـومـتر مـرـبـعـ، ويـقـولـ يـاسـينـ أـقطـايـ، مـسـتـشـارـ الرـئـيـسـ أـرـدوـغانـ، إنـ القـاسـمـ المـعـشـرـ فـيـما بـيـنـهاـ أـنـ اـقـتصـادـهاـ لـاـ يـعـتـمـدـ عـلـىـ موـارـدـهـاـ الطـبـيعـيـةـ (مـعـظـمـهاـ غـيرـ نـفـطـيـ)ـ بلـ يـعـتـمـدـ عـلـىـ إـنـتـاجـهـاـ وـمـوـارـدـهـاـ الـبـشـريـةـ، وـرـبـّـماـ لـهـذـاـ جـاءـ عـنـوانـ القـمـةـ "دورـ التـنـمـيـةـ فيـ الـوصـولـ إـلـىـ السـيـادـةـ الـوطـنـيـةـ".

ومـاـ يـعـزـزـ المـقـولـةـ التـيـ تـؤـكـدـ "تمرـدـ"ـ هـذـاـ التـكـتلـ عـلـىـ القـيـادـةـ الـعـربـيـةـ لـلـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ ماـ ذـكـرـهـ السـيـدـ أـقطـايـ الـذـيـ يـوـصـفـ بـأـنـهـ الـمـنـظـرـ الـأـيـديـوـلـوـجـيـ لـهـذـهـ القـمـةـ تـفـسـيرـاـ لـاستـثـنـاءـ الزـعـماءـ الـعـربـ بـقـوـلـهـ "أـيـنـ هـؤـلـاءـ.. لـاـ تـجـدـهـمـ حـاضـرـيـنـ عـنـدـ الـخـطـرـ الـمـنـتـشـرـ فـيـ الـعـالـمـ، وـالـمـحـدـقـ بـالـإـسـلـامـ وـالـمـسـلـمـيـنـ، وـالـمـتـمـثـلـ فـيـ بـثـ الـكـراـهـيـةـ وـالـعـادـاءـ لـلـإـسـلـامـ، لـاـ نـجـدـهـمـ كـلـاـمـاـ كـانـ هـذـاـ الـخـطـرـ مـشـكـلـةـ بـحـثـ لـهـاـ عـنـ حلـ، بـتـنـاـ نـرـىـ خـطـواـتـهـمـ تـغـذـيـيـ العـادـاءـ ضـدـ الـإـسـلـامـ".

كلـامـ السـيـدـ أـقطـايـ، رـغـمـ قـساـوتـهـ يـعـكـسـ الحـقـيقـةـ لـلـأـسـفـ، فـالـمـعـسـكـرـ الـإـسـلـامـيـ الـعـربـيـ يـعـيـشـ أـسـوـأـ أـيـامـهـ، فـيـرـقـةـ، تـناـحرـ، حـرـوبـ فـسـادـ، دـيـكتـاتـورـيـةـ، قـمـعـ، تـبـعـيـةـ كـامـلـةـ لـلـاستـعـمـارـ الـفـرـقـيـ، وـالـأـمـرـيـكـيـ خـاصـيـةـ، وـارـتـمـاءـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ زـعـمـائـهـ تـحـتـ أـقـدـامـ الـعـدـوـ الـإـسـرـائـيـلـيـ، وـالـمـجـاهـرـةـ بـالـتـّـطـبـيعـ، بـلـ وـالـتـّـحـالـفـ مـعـهـ.

الـدـكـتوـرـ مـهـاـ تـيـرـ مـحـمـدـ الـذـيـ جـعـلـ مـنـ بـلـادـهـ أـحـدـ أـبـرـزـ النـمـورـ الـآـسـيـوـيـةـ مـنـ خـلـالـ خـطـطـ تـنـمـيـةـ اـقـتصـادـيـةـ طـمـوـحةـ مـدـعـومـةـ بـنـظـامـ دـيمـقـراـطيـ شـفـافـ، وـرـفـقـهـ دـخـولـ إـسـرـائـيـلـيـ وـاحـدـ لـأـرضـ بـلـادـهـ، كـانـ مـصـيـدـاـ عـنـدـمـاـ قـالـ "إـنـ"ـ هـذـهـ القـمـةـ تـنـعـقـدـ بـيـنـمـاـ يـتـعـرـضـ الـمـسـلـمـوـنـ لـلـقـمـعـ فـيـ مـخـتـلـفـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ.. الـمـسـلـمـوـنـ يـوـصـفـوـنـ بـأـنـهـمـ إـرـهـابـيـونـ، وـهـنـاكـ خـوفـ حـالـيـ"ـ مـنـ الـإـسـلـامـ، وـوـاـضـحـ لـلـجـمـيعـ أـنـ الـمـوـقـفـ يـزـدـادـ سـوـءـاـ". الـرـدـ عـلـىـ قـمـةـ كـوـالـلـمـبـورـ الـإـسـلـامـيـةـ لـاـ يـجـبـ أـنـ يـكـوـنـ بـتـحـريـضـ الـجـيـوشـ الـإـلـكـتـرـوـنـيـةـ عـلـىـ إـطـلاقـ "صـوـارـيخـ الشـتـائمـ وـالـسـبـابـ عـلـىـ الزـعـمـاءـ الـمـشـارـكـيـنـ فـيـ هـذـهـ القـمـةـ، وـالـتـغـذـيـيـ بـأـمـجـادـ الـمـاضـيـ، فـهـذـاـ نـهـجـ العـاجـزـيـنـ الـمـفـلـسـيـنـ، وـإـنـّـمـاـ بـإـجـرـاءـ مـرـاجـعـاتـ جـدـيـةـ وـنـقـدـ ذاتـيـ لـمـعـرـفـةـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ هـيـّـأـتـ الـمـجـالـ لـتـهـمـيـشـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـيـنـ دـوـلـةـ عـرـبـيـةـ إـسـلـامـيـةـ مـنـ بـيـنـهـاـ، أـوـ عـلـىـ رـأـسـهـاـ، الـمـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ الـسـعـودـيـةـ، حـاضـنـةـ الـحـرـمـيـنـ الـشـرـيفـيـنـ، وـمـكـةـ الـمـكـرـمـةـ قـبـلـةـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـالـمـدـيـنـةـ الـمـنـوـرـةـ مـثـوىـ الرـسـولـ (صـلـىـ إـلـيـهـ وـسـلـمـ).

حتـىـ تـحـافظـ الـمـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ الـسـعـودـيـةـ عـلـىـ زـعـامـةـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ، عـلـيـهاـ أـنـ تـغـيـرـ مـعـظـمـ سـيـاسـاتـهاـ الـحـالـيـةـ بـمـاـ فـيـهاـ حـرـوبـهاـ فـيـ الـيـمـنـ، وـتـبـعـيـتهاـ الـمـطـلـقـةـ لـلـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ، وـالـلـوـقـوفـ بـقـوـةـ فيـ خـنـدقـ الـقـضـاـيـاـ الـإـسـلـامـيـةـ الـعـادـلـةـ وـأـبـرـزـهاـ قـضـيـةـ فـلـسـطـيـنـ وـمـقـدـسـاتـهاـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ.

منظّمة التّعاون الإسلامي التي تسعى هذه القمّة في كوالالمبور إلى تجاوزها، وخلق البدائل لها، باتت مُجرّد اسم دون أيّ مضمون، وليس لها أيّ علاقه بالتعاون الإسلامي، لأنّها انحازت إلى دولة المقر، ولم تكُن مُحايدةً وموضوعيّةً على الإطلاق، وتحوّلت إلى أحد إدارات وزارة الخارجية السعودية، وانحصر دورها في إصدار البيانات التي لا يقرأها غير الذين كتبواها، وحتى هذه المسألة نَسُك فيها.

من يُريد أن يكون زعيماً للعالم الإسلامي عليه أن يكون قدوةً في كُل المجالات، التنمية، الديمقراطية، احترام حقوق الإنسان، العدالة الاجتماعية، نبذ الطائفية بكل أشكالها، وتكرис السيادة الوطنية، وتكريس أسس الحكم الرشيد، واقتلاع الفساد بكل أشكاله، والعمل من أجل التّقارب بين المسلمين، والانتصار دون تردد لقضاياهم العادلة بكل الطُرق والوسائل.

هذه القمّة هي جرس إنذار لجميع "الزّعامات" العربية المسلمة، والمملكة العربية السعودية بالذّات، لعلّها تصحو من سباتها وتُراجع سياساتها فاليوم يتم تجاوز منظّمة التعاون الإسلامي، وغداً ربّما نُفاجأ بمن يُطالب بإشراف "إسلامي" على الحرمين الشريفين، وهناك نوايا حقيقية في هذا المضمار، وربّما تكون قمة كوالالمبور هي البداية.

نُدرك جيداً أنّ تحذيراتنا هذه قد تُثير غضب الكثرين، ولذلك، فنحن نؤمن بأنّ من الواجب علينا أن نقولها، ومن هذا المنبر من منطلق الحرص، وأيّها كانت الدّائرة.